

هل الفلسطينيون اليوم هم نسل الفلسطينيون في العهد القديم؟

دراسة كتابية و تاريخية

بقلم : ديفيد اديب¹

لا شك أننا نعيش في زمنٍ نحاط فيه باستمرار بل وحتى نتعرض لطوفان من المعلومات الخاطئة ، والأخبار المزيفة ، والأكاذيب التي تتنكر كحقائق . ولا تقتصر هذه الظاهرة على السياسة أو القضايا الاجتماعية والاقتصادية أو التعليم فحسب ، بل قد اخترقت أيضاً الكنيسة - جسد المسيح ذاته . ولعل هذه الظاهرة تستمر في التغلغل في الكنيسة ليس فقط بسبب الجهل الواسع الانتشار الذي غزا وسائل التواصل الاجتماعي وشبكة الإنترنت بوجه عام ، بل أيضاً بسبب نقص المعرفة الكتابية بين عامة المسيحيين وغياب التعليم السليم بين معلمي الكتاب المقدس والوعاظ . وهذه الظاهرة هي التي دفعتني لكتابة هذا المقال .

لا يوجد وقت يسعى فيه الناس لمعرفة المزيد عما يُعلمه الكتاب المقدس أكثر من اوقات الحن وعدم اليقين . نرى حتى أولئك الذين لا يؤمنون بالكتاب المقدس متلهفين لمعرفة ما إذا كان يحتوي على أي نبوءات قد تساعدهم على معرفة ما سيأتي . حتى غير المؤمنين يسعون لاستشفاف خيط من النور في كلمة الله!

أحد أكثر القضايا إثارة للجدل في عصرنا الحديث هو قضية أرض إسرائيل . فعندما يتعلق الأمر بتاريخ الأرض ، والمجموعات العرقية التي سكنت فيها ، وأهميتها الدينية والسياسية ، تتباين الآراء وتحتد المشاعر . لذلك ، ليس من نيتي أن أدلي بأي بيان سياسي أو أن أدافع عن حق مجموعة واحدة في ملكية الأرض على حساب المجموعات الأخرى . ورغم أن لدي آراء خاصة حول هذه المسألة ، إلا أن هذا المقال ليس مخصصاً لذلك . لا تخطئوا الفهم ، فأنا أدرك أن هذا المقال قد يكون سبباً للنزاع أو إثارة بعض الأشخاص . ورغم أن هذا ليس قصدي ، إلا أن هذا متوقع . ومع ذلك ، أعترم تقديم حقائق تاريخية بسيطة لا يمكن ولا يجب إنكارها أو تشويهها . سواء أدت هذه الحقائق إلى الاعتراف بحق مجموعة معينة في الملكية على حساب الأخرى ، فهذا موضوع لنقاش آخر وفي وقت آخر . لكنه ليس السبب الذي أكتب من أجله هذا المقال .

بالنسبة لمعظم الناس في الغرب ، فإن تاريخ الشرق الأدنى القديم (جزء مما يُعرف اليوم بالشرق الأوسط) ليس من المواضيع التي تُدرس بانتظام في المدارس أو الجامعات (إلا في أوقات الأزمات بالطبع) . ويغيب بشكل ملحوظ دور الكنيسة في نشر المعرفة الحقيقية عندما يتعلق الأمر بقضايا مثل هذه ، خاصةً مع تحولها إلى "قضية سياسية"! وهذا يترك معظم الباحثين غير المتخصصين في الغرب أسرى لمعلومات خاطئة وتاريخ مُعدّل تم "تفصيله" ليتماشى مع اغراض معينة .

¹ اضغط هنا لتقرأ المقال الاصلي و الذي تم نشره باللغة الانجليزية .

في هذا المقال ، أسعى إلى تسليط نور المعرفة الكتابية الحقيقية للمساعدة في تمييز الحقائق من الأكاذيب . مع انتشار حالة من عدم اليقين التي تسيطر على العالم عموماً ، وخاصةً مع تصاعد العنف في منطقة الشرق الأدنى القديم (المعروفة لنا اليوم بالشرق الأوسط) ، يسعى هذا المقال للإجابة على هذا السؤال المحوري : هل الفلسطينيون اليوم هم أحفاد الفلسطينيين المذكورين في الكتاب المقدس؟ وإذا لم يكونوا كذلك ، فمن هم الفلسطينيون في العهد القديم ومن هم الفلسطينيون في عصرنا الحديث؟ للإجابة على هذه الأسئلة والمزيد ، ننطلق في هذه الرحلة القصيرة . لتتبع تاريخ وهوية الفلسطينيين القدماء ، سنبدأ أولاً باستكشاف ذكرهم في الكتاب المقدس ، ثم ننقل إلى السجلات التاريخية لمصر وأشور .

الذكر الكتابي للفلسطينيين

يُعرف الكتاب المقدس الفلسطينيين بأنهم من نسل كسلوحييم (تكوين 10 : 13-14) . ووفقاً للأنساب الكتابية ، كان كسلوحييم ابن مصرايم . ومصرايم هو ابو المصريين ؛ واسمه هو الاسم العبري لمصر حتى يومنا هذا . وهذا يجعل كسلوحييم حفيد حام ابن نوح . من السرد الكتابي اللاحق ، نعلم أن كسلوحييم وكفتوريم - ابن آخر لمصرايم - ذهبا واستقرا في جزيرة كفتور ، جزيرة كريت الحديثة ، التي سُميت باسمه . وهذا مذكور بوضوح في نبوءة عاموس : "أَلَسْتُ لِي كِبْنِي الْكُوشِيِّينَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَلَمْ أَصْعِدْ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ، وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ مِنْ كَفْتُورَ ، وَالْأَرَامِيِّينَ مِنْ قَيْرَ؟" (عاموس 9 : 7 . انظر أيضاً إرميا 47 : 4) .

عند فحص النص الكتابي ، نجد أن أول استخدام لمصطلح "الفلسطينيين" في الكتاب المقدس يظهر في سفر التكوين ، وتحديدًا في رواية عهد إبراهيم مع أبيمالك ، ملك جرار . في هذا السرد ، نقرأ أن الرجلين "قَطَعَا مِيثَاقًا فِي بئرِ سَبْعَ ، ثُمَّ قَامَ أَبِيمَالِكُ وَفِيكَوْلُ رَئِيسُ جَيْشِهِ وَرَجَعَا إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ" . (تكوين 21 : 32) . وفي سفر التكوين نجد إشارات إضافية إلى الفلسطينيين وأرضهم وملكهم في أيام إسحاق (انظر تكوين 26 : 1 ، 8 ، 14 ، 15 ، 18) . وفي القصة الشهيرة للخروج من مصر نقرأ أن الرب قاد بني إسرائيل بعيداً عن طريق أرض الفلسطينيين (خروج 13 : 17) . وفي وقت لاحق في سفر الخروج ، وعد الرب بتحديد حدود بني إسرائيل من البحر الاحمر إلى بحر الفلسطينيين (أي البحر القريب من الأرض التي يسكنها الفلسطينيون) . ويُشار إلى هذا البحر في أماكن أخرى في الكتاب المقدس باسم "البحر الكبير" - المعروف لدينا اليوم بالبحر الأبيض المتوسط (خروج 23 : 31) .

سترى لاحقاً في هذا المقال أنه لا توجد لدينا أي سجلات تاريخية للفلسطينيين قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد (أي بعد قرون من زمن إبراهيم وإسحاق) . ولذلك ، يدعي الكثيرون أنه بما أن الفلسطينيين لم يهاجروا إلى كنعان حتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، فإن الكتاب المقدس مخطئ في الإشارة إليهم في أيام إبراهيم وإسحاق قبلها بعدة قرون . هذا هو استنتاج المتسرعين وقليلي المعرفة! فالنظرة الأكثر تدقيقاً وتمعناً في النص الكتابي والأدلة التاريخية تكشف خلاف ذلك .

هناك عدة طرق لمعالجة هذه المسألة . أولاً ، من الممكن جداً أن تكون هذه الإشارات المبكرة إلى الفلسطينيين تأريخاً لاحقاً (المعروف باللغة الانجليزية anachronism) أي أن تكون قد أُعيدت تسميتها في وقت لاحق من تاريخ بني إسرائيل باستخدام مصطلحات أو أسماء كانت مألوفة لدى الإسرائيليين في ذلك الوقت . وتوجد أمثلة عديدة على هذه التسميات المتأخرة في الكتاب المقدس . فعلى سبيل المثال ، في سرد قصة عيسو (قبل قرون من تنويع شاول

كأول ملك لإسرائيل) نقرأ: "وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكَوا فِي أَرْضِ أَدُومَ، قَبْلَمَا مَلَكَ مَلِكُ لَبْنِي إِسْرَائِيلَ". (تكوين 36 : 31) . عندما كتب موسى سفر التكوين لم يكن هناك ملوك في إسرائيل ؛ في الواقع ، لم تكن إسرائيل قد أصبحت دولة بعد . لذا فإن هذه اللغة بالتأكيد هي تاريخ لاحق .

من الممكن أيضاً أنه منذ زمن إبراهيم وإسحاق كانت هناك مجموعات متناثرة من الفلسطينيين تعيش في أنحاء أرض كنعان . فالهجرات نادراً ما تحدث خلال جيل أو اثنين فقط (تذكر الهجرة من أوروبا إلى أمريكا الشمالية منذ اكتشافها وحتى يومنا هذا) . لذلك ، من الممكن أن الفلسطينيين بدأوا هجرتهم شرقاً في زمن إبراهيم . ثانياً ، نعلم أن بعض الفلسطينيين كانوا يقاتلون في الجيش المصري كمرتزقة قبل هجرتهم الجماعية إلى السهول الساحلية في كنعان . وهذا يشير إلى أنهم انتقلوا إلى كنعان في مجموعات أصغر في وقت مبكر بكثير . ثالثاً ، نعرف أيضاً أن حملتهم ضد رمسيس الثالث كانت عبر البحر والبر ، مما يشير إلى أنهم استقروا بالقرب من الحدود الشرقية لمصر في وقت مبكر (انظر أدناه) .

لتأييد هذا الرأي ، يجب أن نلاحظ الفروقات النصية بين وصف الكتاب المقدس للفلسطينيين في زمن إبراهيم وإسحاق ووصفهم في زمن يشوع والقضاة وما بعده . على سبيل المثال ، يشير الكتاب المقدس إلى أبيمالك بوصفه "ملك الفلسطينيين" (تكوين 26 : 1 ، 8) في حين أنه في زمن شمشون وداود لم يكن للفلسطينيين ملك واحد يحكمهم . وهذا يشير إلى أنهم كانوا مجموعة موحدة في زمن إبراهيم وإسحاق . في المقابل ، كان الفلسطينيون لاحقاً يعيشون في خمس مدن مختلفة ، حيث كانت تحكم كل منها كنظام دولة مدينة منفصلة بدون ملك واحد ، بل كانوا يحكمون من قبل خمسة أقطاب (يشوع 13 : 3) . ثانياً ، كان الفلسطينيون في زمن إبراهيم وإسحاق يسعون عموماً للتعايش بسلام مع المجموعات الأخرى في الأرض (تكوين 21 : 22-26) . أما الفلسطينيون في زمن شمشون وداود فكانوا يتميزون بالعنف ويسعون للسيطرة على الأراضي المحيطة . والأهم من ذلك ، أن جرار - مركز تواجد الفلسطينيين في زمن إبراهيم وإسحاق - لم تكن ضمن المدن الخمس للفلسطينيين فيما بعد (انظر يشوع 13 : 3) . وبالتالي ، من الواضح أن الفلسطينيين الأوائل كانوا مجموعة متميزة عن المجموعة اللاحقة ، رغم أن كلا المجموعتين قد هاجرتا على الأرجح من شرق البحر الأبيض المتوسط غرباً إلى كنعان . بعد ذكرهم في سفر التكوين في زمن إبراهيم وإسحاق وإشارتهم الموجزة في سفر الخروج ، يخلو الكتاب المقدس من أي ذكر لـ "الفلسطينيين" حتى نصل إلى سفر يشوع ، حيث نقرأ عن أمر الرب ليشوع بشأن الأرض التي ما زالت بحاجة إلى أن تؤخذ ، واصفاً إياها بحدود (أو منطقة) الفلسطينيين (يشوع 13 : 2-3) . بدءاً من سفر القضاة وما بعده ، يصبح للفلسطينيين دور أكثر وضوحاً في السرد الكتابي ، حيث نقرأ عن صراعاتهم المستمرة مع بني إسرائيل في أيام شمشون وداود والأنبياء اللاحقين .

الآن بعد أن استعرضنا ذكرهم في الكتاب المقدس ، دعونا نكتشف ما تقوله السجلات التاريخية عن هويتهم .

من هم الفلسطينيون؟

تاريخياً ، نعلم أن الفلسطينيين كانوا من بين "شعوب البحر" ، أي الشعوب التي كانت تبصر وتأتي من جزر كريت وقبرص . وقد استقروا في مدن الفلسطينيين الخمس في السهول الساحلية لأرض إسرائيل حوالي الوقت الذي دخل فيه بنو إسرائيل أرض الموعد . وكانت هذه المدن الخمس هي غزة وجت وعقرون وأشدود وأشكلون . ومن خلال ما

نعرفه عن سلوك الفلسطينيين ، يبدو أنهم كانوا معروفين بطرد السكان الأصليين من أراضيهم والاستقرار فيها . وتظهر السجلات المصرية بوضوح أن هذا ما حاولوا فعله على الساحل الشمالي لمصر ، ويظهر الكتاب المقدس أنهم حاولوا فيما بعد أن يفعلوا الشيء نفسه مع بني إسرائيل . ويشهد الكتاب المقدس على ذلك في سفر التثنية ، حيث نقرأ : "وَالْعَوِيُّونَ السَّاكُنُونَ فِي الْقَرْيِ إِلَى غَزَّةَ ، أَبَادَهُمُ الْكَفْتُورِيُّونَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ كَفْتُورَ وَسَكَنُوا مَكَانَهُمْ . " (تثنية 2 : 23) . أول سجل موثق للفلسطينيين في السجلات المصرية يأتي إلينا من جدران مدينة هابو من عهد رمسيس الثالث . وفقاً لهذه السجلات المصرية ، حاول الفلسطينيون غزو مصر براً وبحراً بعد أن اجتاحتها قبرص ، والاناصول (غرب تركيا) ، وسوريا . وقد أشير إليهم في السجلات المصرية باسم "برست" (أو "فلسطين") . تمكن المصريون من هزيمتهم وطردهم حوالي عام 1191 قبل الميلاد . ينبغي أن أذكر أن مصر ليست الحضارة الوحيدة في الشرق الأدنى القديم التي تركت سجلات عن الفلسطينيين ، فقد ذكرتهم السجلات الآشورية أيضاً ، حيث أشاروا إليهم باسم "فلسطيني" أو "فلسطينو" . من المهم ملاحظة أن الفلسطينيين يُصوِّرون كأوروبيين في آثار رمسيس الثالث . كما أن الفُخار الخاص بهم يُظهر ارتباطاً بجزر اليونان في البحر الأبيض المتوسط ، وخاصةً كريت . وكما ذكرنا أعلاه ، كانوا من نسل كسلوحييم ، وهو من نسل حام . وعلى النقيض من ذلك ، يُعرف الفلسطينيون في يومنا هذا بأنهم عرب ، ينحدرون من شبه الجزيرة العربية . ووفقاً لهذا التعريف الذاتي ولروايتهم الإسلامية ، فهم يعتبرون أنفسهم من نسل إبراهيم وابنه إسماعيل . ولا جدال في أن إبراهيم ينحدر من نسل سام . وهذا يجعل الفلسطينيين من نسل سام أيضاً ، وليس حام الذي يُعتبر والد الفلسطينيين القدماء (كما ورد أعلاه) . الفلسطينيون القدماء المذكورون في الكتاب المقدس لم يكن لهم أي ارتباط بسكان الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية الحديثة) الذين يُقال إنهم أسلاف العرب اليوم (بما في ذلك الفلسطينيون المعاصرين) . إن الشعبين مختلفان تماماً ومنفصلان ، وليس لهما ارتباطات تاريخية أو عرقية . وبالتالي ، فالفلسطينيين المعاصرين إما أن يكونوا من نسل إبراهيم أو من نسل الفلسطينيين القدماء المذكورين في الكتاب المقدس – لكن لا يمكن أن يكونوا من نسل كليهما .

استمر الفلسطينيون في العيش على الساحل الجنوبي الغربي لإسرائيل حتى زمن السبي البابلي . وكانوا من بين الشعوب العديدة التي قام نبوخذنصر (ملك بابل) بسبيها . ورغم أن أرض فلسطين والفلسطينيين قد ذُكرت بعد السبي على لسان حزقيال وزكريا ، فإن هذه الإشارات تقتصر فقط على المنطقة التي سكنها الفلسطينيون في الماضي . ولا يوجد سجل تاريخي أو كتابي يشير إلى عودة الفلسطينيين للسكن في أي جزء من أرض كنعان بعد نفيهم إلى بابل . ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد فصاعداً ، لا توجد سجلات تاريخية أو كتابية للفلسطينيين . ولكن إذا كان كل ما سبق صحيحاً ، فلماذا يُطلق على الأرض القديمة لإسرائيل اسم "فلسطين" حتى يومنا هذا؟ فـ "فلسطين" تشير إلى أرض الفلسطينيين ، أليس كذلك؟ سنناقش هذه الأسئلة في الجزء التالي من هذا المقال .

من أين جاء اسم فلسطين؟

ببساطة ، لا يوجد أي سجل يشير إلى أن أرض كنعان كانت تُدعى "فلسطين" قبل عام 135 ميلادية . وعلى الرغم من أن هيرودوت استخدم مصطلح "بلايستينا" (Palaestina) في القرن الخامس قبل الميلاد ، إلا أنه كان يشير بذلك إلى المنطقة الجنوبية الغربية من كنعان ، والتي كانت تُعرف تاريخياً بـ "فلسطينية" – الموطن القديم للفلسطينيين (انظر أعلاه) . بعد ثورة عام 70 ميلادية وتدمير القدس ، بدأت ثورة أخرى في عام 132 ميلادية . لكن تلك الثورة

أيضاً سُحِّقَتْ بعد ثلاث سنوات في عام 135 ميلادية . لمعاقبة اليهود ، قام الإمبراطور هادريان بإعادة تسمية أرض إسرائيل لتصبح "سوريا-بلاستينا" ، مقتبساً الاسم من العدو التاريخي لليهود - الفلسطينيين (حيث تعني كلمة "بلاستينا" فلسطين في اللاتينية) . وكجزء من جهوده لطمس الهوية اليهودية للأرض ، قام ببناء معبد للإله جوبيتر في الموقع الذي كان يقف فيه المعبد اليهودي سابقاً . وقد استخدم العرب نفس التكتيك بعد قرون لتأكيد هويتهم العربية على الأرض ببناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى في نفس الموقع . لاحقاً ، أُعيد تسمية الأرض بأكملها لتصبح "بلاستينا" . ومنذ ذلك الحين ، استمر اسم الأرض ليصبح "فلسطين" أو "فلسطين" .

إذن ، من هم الفلسطينيون في العصر الحديث؟

لا توجد سجلات تاريخية حول أصول "فلسطينيين" العصر الحديث . التاريخ يخلو تماماً من أي تأريخ لوجود أمة أو دولة تُدعى "فلسطين" سواء في أرض كنعان الكتابية أو في أي مكان آخر . ليس هناك أي سجل لدولة فلسطينية في فلسطين ، حتى في الفترة التي كانت فيها الأرض بالكامل تحت السيطرة العربية أو الإسلامية منذ القرن السابع حتى أوائل القرن العشرين . لا نجد في التاريخ أي أثر لتسلسل ملوكي أو ملوك أو ملكات أو رؤساء لدولة تُدعى "فلسطين" . تم تأليف النشيد الوطني لـ "فلسطين" في عام 1965 وتم اعتماده رسمياً في عام 1996 . ليس لدينا أي سجل لنشيد وطني لـ "فلسطين" قبل ذلك الوقت . وتم تبني العلم الفلسطيني بالألوان الأبيض والأخضر والأحمر والأسود في عام 1964 . لا يوجد أي سجل له أو لأي علم آخر لدولة "فلسطينية" قبل ذلك التاريخ .

من المعروف أن الأمم التي وجدت عبر التاريخ تركت خلفها اواني فخارية أو مودناً مأهولة أو مهجورة ، ويمكن تتبعها خلال الأدب واللغة وما إلى ذلك . لكننا لا نجد أيّاً من ذلك عندما يتعلق الأمر بالفلسطينيين المعاصرين . في الواقع ، فإن تتبع أصول الفلسطينيين اليوم هو أصعب بكثير من تتبع فلسطينيين العهد القديم الذين عاشوا قبل قرون! ويرجع ذلك جزئياً إلى حقيقة أنه لم يتم ذكر "دولة فلسطينية" أو "شعب فلسطيني" في أي من كتابات المؤرخين القدماء مثل هيرودوت ، أو فيلو ، أو يوسيفوس .

بعض المؤرخين الرومان الذين كتبوا عن يسوع الناصري ، مثل تاسيتوس وسويتونيوس ، لم يذكروا وجود دولة فلسطينية قبل أو أثناء عصرهم . كان من المتوقع أن نجد مثل هذا الذكر في أي مصدر روماني من تلك الحقبة إذا كانت تلك الدولة موجودة بالفعل ، خاصة أن الرومان لم يكونوا ودودين بشكل خاص تجاه اليهود وكانوا سيرحبون بأي فرصة لأخذ أرضهم منهم . وبدافع كراهيتهم لليهود ، كان الرومان سيسعون لإعادة الأرض إلى مالكيها الفلسطينيين لو أن مثل هؤلاء الملاك كانوا موجودين بالفعل . في الواقع ، فقد حاول الرومان محو الهوية اليهودية للأرض بإعادة تسميتها "سوريا-فلسطين" على اسم العدو التاريخي لإسرائيل - الفلسطينيين (راجع التفاصيل المذكورة أعلاه) . لو كان هناك شعب يُدعى الفلسطينيون في ذلك الوقت ، لأعاد الرومان الأرض لهم كجزء من تلك المحاولة ؛ لكننا لا نجد أي سجل لذلك . إن صمت جميع المؤرخين في تلك الحقبة عن وجود دولة فلسطينية يظهر أنه لم تكن هناك أبداً .

في معظم وسائل الإعلام وفي المحاولات الحديثة لإعادة كتابة التاريخ ، يُقال لنا أن اليهود بدأوا في العيش في الأرض بعد قيام دولة إسرائيل في عام 1948 . هذا غير صحيح تاريخياً وواقعياً . لم يتوقف اليهود أبداً عن العيش في الأرض حتى بعد الفتح العربي . بعد هزيمة العرب للصليبيين ، ورغم تزايد السكان المسلمين ، استمر العرب والمسيحيون

واليهود في العيش في أرض كنعان القديمة . في عام 1948 تم تأسيس دولة إسرائيل ككيان سياسي بعد أن كانت قد توقفت عن الوجود لما يقرب من ألفي عام . ومع ذلك ، لم ينعدم الوجود اليهودي في الأرض بأي شكل من الأشكال .

هل كان العرب دائماً في "فلسطين"؟

أول ذكر في كتب التاريخ لوجود العرب (وليس الفلسطينيين) في أرض إسرائيل يعود إلى فترة الفتح العربي في القرن السابع الميلادي . بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية في عام 395 ميلادية ، كانت أرض إسرائيل تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية ، الجناح الشرقي للإمبراطورية الرومانية . بعد ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية في أوائل القرن السابع ، هُزمت الإمبراطورية البيزنطية وصارت الأرض تحت الحكم الإسلامي في عام 636 ميلادية . في ذلك العام ، تم فتح معظم الأرض على يد العرب ، واستسلمت القدس وقيصرية بعد ذلك بوقت قصير في عامي 638 و640 ميلادية على التوالي .

مع بناء قبة الصخرة في عام 691 ميلادية والمسجد الأقصى بعد ذلك بفترة قصيرة ، بدأ تدفق العرب من شبه الجزيرة العربية إلى أرض إسرائيل القديمة . تدريجياً ، تحولت الهوية الدينية والاجتماعية للأرض من أرض ذات أغلبية مسيحية إلى أغلبية مسلمة . (يجب التذكير بأن منطقة بلاد الشام كانت مركزاً قوياً للمسيحية خلال السبعة قرون التي تلت ظهور المسيحية) . فُرضت ضرائب ثقيلة (الجزية) على المسيحيين الذين رفضوا اعتناق الإسلام . أولئك الذين لم يتمكنوا من دفع هذه الضريبة كان عليهم الاختيار بين الموت أو اعتناق الإسلام . هذا الاضطهاد هو ما أدى في النهاية إلى الحملات الصليبية من قبل الدول المسيحية في أوروبا لمحاولة استعادة إسرائيل من العرب . استعاد الصليبيون أرض إسرائيل في عام 1099 ميلادية وأصبحت الأرض مرة أخرى تحت الحكم المسيحي . ومع ذلك ، كان هذا النجاح قصير الأمد . في عام 1187 ميلادية ، وجه صلاح الدين الأيوبي ضربة حاسمة للصليبيين وأصبحت الأرض مرة أخرى تحت السيطرة العربية والإسلامية ولكن لفترة أطول هذه المرة .

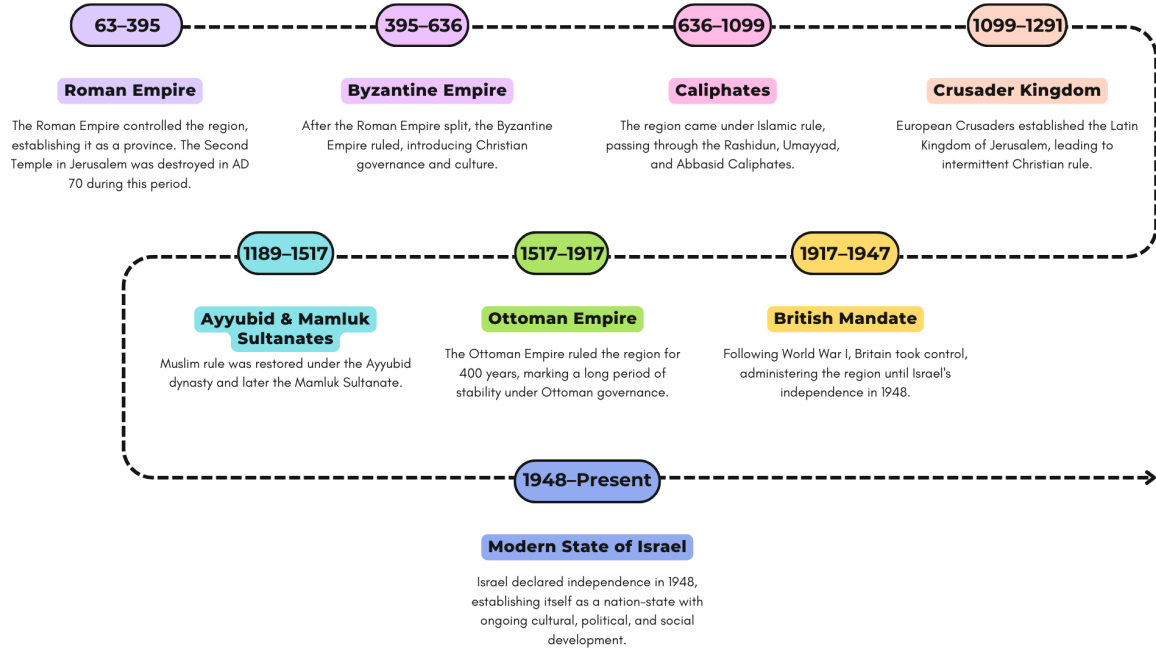
هيمنت سلسلة من الإمبراطوريات الإسلامية المتعاقبة على أرض إسرائيل ، بدءاً من الأيوبيين إلى المماليك وانتهاءً بالإمبراطورية العثمانية في عام 1517 ميلادية . استمر العثمانيون في السيطرة على الأرض حتى تم احتلالها من قبل البريطانيين بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى في عام 1917 . في نهاية الانتداب البريطاني في عام 1947 ، تم إنشاء دولة إسرائيل في مايو 1948 في أرض كنعان القديمة للمرة الأولى منذ انهيارها التام في عام 586 قبل الميلاد على يد نبوخذ نصر ، ملك بابل . يُظهر الجدول الزمني المختصر أدناه تسلسل الإمبراطوريات التي سيطرت على أرض كنعان/إسرائيل حتى يومنا هذا . للاختصار ، أظهرت هذه الممالك منذ الإمبراطورية الرومانية فصاعداً .

لماذا هذا الجدول الزمني المختصر مهم؟ لأننا ، على مدار حوالي 1,300 عام التي كانت فيها أرض "فلسطين" بالكامل تحت السيطرة العربية أو الإسلامية ، لا نجد أي تاريخ يشير إلى قيام دولة فلسطينية . بين عامي 636 و1917 كانت أرض إسرائيل تحت سيطرة إما الإمبراطوريات العربية الإسلامية أو التركية ، مع استثناء قصير لأقل من 200 عام بدأ في 1099 . في الواقع ، بعد تقسيم الأرض في عام 1947 ، تم منح المملكة الأردنية الحديثة السيطرة الكاملة على الضفة الغربية بأكملها ومدينة القدس بأكملها . استمر هذا الوضع حتى حرب الأيام الستة في عام 1967 . مرة أخرى ، لم يقيم الأردنيون بتأسيس دولة فلسطينية مع القدس كعاصمتها - كما يُدعى بشكل متكرر من قبل العرب والمسلمين في العصر الحديث - ولم يعيدوا القدس إلى الفلسطينيين كـ "المالكين الشرعيين" للمطالبة بها كعاصمتهم . ومن المثير

للاهتمام أنه خلال تلك الفترة كان الأردن موطناً لجميع الفلسطينيين تقريباً الذين فروا من الأرض نتيجة لحرب 1948 . ومع ذلك ، لم يساعدهم الأردنيون في العودة إلى "موطنهم" سواء في القدس أو الضفة الغربية لإنشاء دولتهم

Succession of Kingdoms/Empires that Controlled the Land of Israel

(All Dates Are AD Dates)



الفلسطينية .

ومن الجدير بالذكر أنه حتى أواخر الستينيات من القرن العشرين ، كان العرب الذين يعيشون في "فلسطين" يطلق عليهم "عرب فلسطين" . وظهر مصطلح "الشعب الفلسطيني" رسمياً لأول مرة في عام 1968 في ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية . كدليل على ذلك ، لم يكن العرب الذين نُفوا من "فلسطين" خلال حرب 1948 يُعرفون بـ "الفلسطينيين" أو "الشعب الفلسطيني" بل كانوا يُسمون "عرب فلسطين" . قبل الستينيات ، كان يُطلق على هؤلاء المهجرين أيضاً "عرب 1948" . لا يوجد أدلة مسجلة على استخدام مصطلح "الشعب الفلسطيني" قبل تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية . في الواقع ، كان يُستخدم مصطلح "الفلسطينيين" للإشارة إلى سكان أرض إسرائيل سواء كانوا يهوداً أو عرباً قبل قيام دولة إسرائيل في 1948 . وقد اكتسب هذا المصطلح دلالاته العربية الإسلامية المميزة بعد 1948 . بدون استثناءات تقريباً ، تُسمى الأرض نسبة إلى الشعب الذي يعيش فيها (على الأقل في سياق الشرق الأدنى القديم) . سُميت كنعان بهذا الاسم لأنها كانت موطن الكنعانيين (أبناء كنعان) . ومصر هي المكان الذي يعيش فيه المصريون .

وأرض إسرائيل سميت باسم أبناء إسرائيل (يعقوب ابن اسحق) - وهكذا . يُعد الفلسطينيون الشعب الوحيد (على الأقل على حد علمي) الذي تمت تسميته نسبة إلى الأرض التي يزعمونها . وكما ذكر سابقاً ، سميت الأرض "سوريا-فلسطين" منذ آلاف السنين قبل أن يظهر مصطلح "فلسطيني" أو "الشعب الفلسطيني" . وبينما تُسمى جميع الأمم باسم شعوبها ، فإن الفلسطينيين يحصلون على اسمهم من الأرض التي يزعمون أنها ملكهم!

الخاتمة

في النهاية ، بغض النظر عن وجهات نظرك الدينية أو السياسية ، أعتقد أنه يجب علينا جميعاً السعي للوصول إلى الحقيقة . أليس هذا ما يعنيه البحث العلمي؟ أليس من المفترض أن يكون السعي وراء المعرفة الحقيقية هو رحلة البحث عن الحقيقة والوصول إليها؟ ورغم أن لدى العديد منا تحيزات خاصة به ، فقد أظهرت لي تجربتي الشخصية أن هناك نوعين اثنين من الباحثين . الأول هو من لديه قناعة محددة مسبقاً ، ويهدف بحثه فقط إلى إيجاد أدلة تدعم تلك القناعات . هؤلاء "الباحثون عن الحقيقة" أو "المدافعون" قد وصلوا بالفعل إلى نهاية رحلتهم قبل أن يبدؤوها! في هذه الحالة ، يتغلب التحيز على الحقيقة . أما النوع الثاني فهو الذي يتبع الأدلة أينما تقوده وبغض النظر عن مدى صعوبة النتيجة . حتى لو بدأ بفكرة عن الوجهة التي يود لبحثه أن يأخذها إليها ، فإنه يظل قادراً على تصحيح مساره إذا وجد أدلة قوية تجعله يفعل ذلك . في هذه الحالة ، تتغلب الحقيقة على التحيز .

لقد نشأت في مصر ، وهي بلد ذو أغلبية مسلمة ولديها تحيز كبير ضد إسرائيل . ومع ذلك ، وبفضل نشأتي في أسرة مسيحية حيث تعلمت أن كلمة الله تتفوق على كل شيء آخر ، أدركت سريعاً أن الكثير مما كان يُقال لنا وتعلمه — خاصة فيما يتعلق بتاريخ "فلسطين" — لم يكن صحيحاً . وإذا كنت تعتقد أن كل مسيحي في مصر يتبنى نفس الآراء التي اتبناها انا ، دعني أخبرك أن بطريرك الكنيسة القبطية المصرية الراحل ، الانبا شنودة الثالث ، في عام 2002 أعلن في خطاب عام أمام جمهور مختلط من المسلمين والمسيحيين أن الشعب الفلسطيني هم الورثة الشرعيون لأرض إسرائيل . في الواقع ، ويتعاون مع السلطات المصرية ، فَرَضَ ولعقود طويلة حظراً على سفر المسيحيين إلى إسرائيل رغم أن البلدين كانا يتمتعان بعلاقات دبلوماسية مستقرة منذ اتفاقية كامب ديفيد عام 1978 . كان موقفه يمثل الموقف الرسمي للكنيسة المصرية في هذا الشأن . ولم يتمكن المسيحيون في مصر من السفر لرؤية الأماكن التي حدثت فيها العديد من الأحداث الموصوفة في كتابهم المقدس إلا بعد وفاته في عام 2012 . ومع ذلك ، عندما يتعلق الأمر بهذه القضية المثيرة للجدل ، فإن العديد من المسيحيين (إن لم يكن الأغلبية) في الشرق الأوسط اليوم يرددون الرواية الرسمية لحكوماتهم وليس الحقيقة الكتابية والتاريخية .

وفي الختام ، أقر بأن ليس الجميع سيوافقني الرأي — وهذا متوقع . وأقر أيضاً بأن الكثيرين سيرون الحقيقة أمامهم مباشرة ومع ذلك سيرفضون تصديقها . على الرغم من أن ذلك مؤسف ، إلا أنه متوقع أيضاً . لقد كتبت هذه المقالة لتضعك ، كقارئ ، عند هذا المفترق . إلى أي نوع من الباحثين ترغب في الانتماء : أولئك الذين يصلون إلى استنتاج أولاً ثم يبحثون لإيجاد أدلة تدعم استنتاجهم ، أم أولئك الذين يبحثون أولاً ثم يستخلصون استنتاجهم بناءً على الأدلة التي اكتشفوها؟